التشبيه و رمزية الوجود عند شعراء الجاهلية

إعداد

دكتور / هاني محمد حسين محمد

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية / الكلية الجامعية – بتربة / جامعة الطائف

المستخلص:

تتناول هذه الدراسة دراسة موضوع (التشبيه ورمزية الوجود عند شعراء الجاهلية) ، وتتمثل أهمية الدراسة في الكشف عن دور التشبيه وتوظيفه في الإشارة إلى دلالة رمزية ترتبط بالوجود وتجدد الحياة واستمرارها وبقائها ، فلا تقف الدراسة عند حدود الدراسة البلاغية للتشبيه أو التفريعات والتقسيمات البلاغية التقليدية للتشبيه وأقسامه وأدواته ونحوها ، إنما تحاول بيان ما يهدف إليه الشاعر الجاهلي من خلال التشبيه ومفرداته اللغوية ، وما قد تبعثه تلك المفردات التشبيهية من إيحاءات ورموز تسهم في الكشف عن الدلالة الأبعد والأسمى التي يسعى إليها الشاعر الجاهلي من وراء استخدام التشبيه والمغزى المعنوي والدلالي الذي يريد الشاعر الذهاب إليه أو الإيحاء به أو الرمز المقصود من وراء التشبيه في السياق الشعري الجاهلي . وتهدف الدراسة إلى رصد نماذج من التشبيه الجاهلي ، ثم بعد ربط التشبيه الجاهلي بالسياق الوارد فيه ، ودلالات الألفاظ والعلامات اللغوية ، يحاول البحث الوصول إلى رمزية التشبيه المرتبطة بالوجود ، وما يريد الشاعر الجاهلي الذهاب إليه والمعنى أو الرمز المقصود من خلال التشبيه ومفرداته .وقد حاولت الدراسة الاعتماد على منهج وصفي يحاول تحديد الظاهرة ووصفها، ثم يحاول تحليلها وصولا إلى المغزى والدلالة الأسمى .

وقد توصلت الدراسة إلى نتائج من أبرزها :

إن استعمال التشبيه ومفرداته في الدلالة على رمزية الوجود في الشعر الجاهلي ، لا يقف بالنص الشعري الجاهلي عند حدود الدلالات الجمالية والبلاغية ، إنما يمتد لتتسع الدلالة إلى ما هو أبعد وأعمق وأسمى ، ليكشف عن مقصود الشاعر وفكره وعاطفته ، إن مفردات المرأة والماء والشمس والظبي وما يرادف تلك المفردات اللغوية ، ارتبطت عند الجاهليين بالدلالة على الوجود و الخصوبة والعطاء والحياة والتجدد والاستمرار ، كما أن محور اهتمام دراسة النص الشعري لا بد وأن ترتكز في الأساس على تحليل النص فنيا وجماليا ، للكشف عن

مغاليقه وأسراره لنصل إلى مقصود الشاعر والدلالة الحقيقة للنص ، وما قد ترمز إليه مفرداته وألفاظه، دون الاهتمام بالتقسيمات والتفريعات التقليدية ، وإن وجدت تلك التقسيمات والتفريعات فلابد وألا تكون لذاتها إنما لتوظيفها في خدمة النص والدلالة.

الكلمات المفتاحية: التشبيه، و رمزية الوجود، عند شعراء الجاهلية.

مقدمة:

تناول العديد من الباحثين الحديث عن التشبيه في الشعر الجاهلي من خلال حديثهم عن ظاهرة التشبيه الدائري في الشعر الجاهلي على نحو ما قام به الدكتور/ عبد القادر الرباعي في بحث له بـ (المجلة العربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الكويت ١٩٨٥م/ العدد١٧)، أو التشبيه عند شاعر معين كدراسة البنية الجمالية للتشبيه في معلقة امرئ القيس للدكتور / خلدون صبح (مجلة مجمع اللغة العربية/ دمشق/العدد٨٤)، وصنعة التشبيه بين أوس بن حجر وزهير ابن أبي سلمى بحث لنيل درجة الماجستير للباحث / يوسف الدعدي، جامعة أم القرى ، ١٤٢٨هـ ، و بلاغة التشبيه في شعر عروة ابن الورد ، للدكتور / علي محمد حميد حماد ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، بالزقازيق ، ونحوها من الدراسات .

وقد اهتمت تلك الدراسات بالتقسيمات والتفريعات البلاغية التقليدية كالحديث عن أركان التشبيه وأدواته وأقسامه ونحوها ، إلى جانب بيان القيمة البلاغية للصورة التشبيهية من خلال تحليلات فنية وبلاغية ولغوية لا يمكن إغفال قيمتها .

أما هذه الدراسة فتناول التشبيه ودوره في إنتاج دلالة رمزية ترتبط بالدلالة الوجودية في الشعر الجاهلي ، إذ ترتكز على الدلالة الأبعد والأسمى التي يسعي إليها الشاعر الجاهلي ، فلا تقف عند حدود الدلالة البلاغية والفنية للتشبيه . إنما تحاول بيان ما يهدف إليه الشاعر الجاهلي من خلال الإيحاءات والرموز المنبثقة من ألفاظ التشبيه ومفرداته وعلاماته اللغوية ، وما يمكن أن ترمز إليه تلك المفردات التشبيهية ، وما قد تبعثه من إيحاءات ورموز تسهم في الكشف عن مقصود الشاعر وعاطفته والدلالة الأسمى التي يسعي إليها والتي ترتبط برمزية الوجود والبقاء ، ثم بعد ربط الصورة التشبيهية بالسياق ودلالات الألفاظ والعلامات اللغوية ، يحاول الباحث الوصول إلي ... ماذا يقول النص ؟ أو ما يريد الشاعر من وراء التشبيه ، محاولا الكشف عن مغاليق النصوص الشعرية وجمالياتها و رمزيتها ، من خلال منهج وصفي يحاول تحليل النص والكشف عن دلالته وسعيه إلى الوصول لدلالة رمزية أعمق وأسمى .

وقد جاءت هذه الدراسة من خلال مباحث ثلاثة :

المبحث الأول : ويأتي بعنوان (التشبيه بالماء ومفرداته)

ويحاول الباحث فيه تحليل النص الشعري والذي يرد فيه التشبيه بالماء ومفرداته (الطل – السحاب – المطر – المزن – السبل – السيل.....) ، للكشف عن الدلالات المرتبطة بهذه التشبيهات وما قد ترمز إليه تلك المفردات التشبيهية في الشعر الجاهلي ، وما يسعى إليه الشاعر من دلالات رمزية ارتبطت بالدلالة على الوجود و الحياة والبقاء والاستمرار والتجدد ، وإن اختلفت السياقات الواردة فيها تلك التشبيهات فجاءت في سياقات وصف المرأة حينا والسياقات الطللية في حين آخر .

المبحث الثاني : ويأتي بعنوان (تشبيه المرأة بالغزال والشمس)

ويحاول الباحث تحليل تلك النصوص الوارد فيها تشبيه المرأة بالغزال أو الشمس ، والكشف عن جماليات الأسلوب الشعري في النص محاولا الوصول إلي الدلالة الأسمى والأبعد التي يسعي إليها الشاعر الجاهلي ، من خلال الجمع بين دلالات (المرأة – الغزال – الشمس) ، والتي ترتبط بدلالات جمالية ، بالإضافة إلى تلك الدلالات الرمزية المرتبطة بالخصوبة والعطاء والبقاء واستمرار الوجود ، والدلالات القدسية .

حيث ارتبط التشبيه في تلك السياقات الشعرية بدلالات الخصوبة والعطاء وتعاقب الأجيال واستمرار الحياة وبقاء الوجود ، من خلال مفردات (الشادن –الرئم- الغزل – الظبي – وغيرها) في حين تضاف – إلى تلك الدلالات - الدلالة القدسية المستوحاة من تشبيه المرأة بالشمس .

المبحث الثالث : ويأتي بعنوان (وصف المرأة بـ طيب الرائحة - حلاوة الريق - جمال الشعر)

ويحاول الباحث تحليل النصوص الواردة وصولا إلي الدلالة المرجوة التي يسعي إليها الشاعر، من خلال الجمع بين دلالات المرأة والماء والخمر والنخل والعناقيد ونحوها ، فقد حاول شعراء الجاهلية الجمع في بعض السياقات بين حلاوة الريق ولذة الإحساس بالخمر والقهوة ، وقد زاد الجاهليون في تلك السياقات الخاصة بوصف المرأة دلالة النخيل والعناقيد ، لتنسجم الدلالات و

تتعاون في إنتاج دلالات رمزية ترتبط بالوجود و الحياة والبقاء والتجدد والاستمرار والخصوبة والعطاء .

ثم تأتي خاتمة البحث متضمنة أهم نتائجه .

تمهيد حول مفهوم التشبيه ودلالة الرمز :

التشبيه في اللغة : " الشبه والشبيه ، المِثل والجمع أشباه ، وأشبه الشيء الشيء ماثله .... " (١) .

وفي الاصطلاح : " التشبيه دلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى ، والمراد بالتشبيه هنا مالم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية " (٢) . وعرفه ابن رشيق بقوله " التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة ، لا من جميع جهاته ، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه " (٣) .

إن التشبيه لا يقف عند مجرد التشابه والتماثل ، إنما هو وسيلة فنية بلاغية فاعلة في تقديم المعنى وإنتاج الدلالة ، والرمز إلى ما هو أبعد وأسمى من الدلالات والتي يحاول الوصول إليها الشاعر ، " إن التشبيه من أكثر قضايا النقد تعقيدا ، وهو ينغرس في أعماق الوجدان البشري " (٤) . وإذا كان التشبيه ينغرس في الوجدان فقد حاول الشاعر الجاهلي ، أن يستخدمه كوسيلة فنية يسعى من خلالها إلى دلالة أسمى وأبعد من خلال استعمال مفردات التشبيه ، كعلامات ورموز تشير إلى تلك الدلالات والمعاني العميقة المرتبطة بأعماق الشاعر ووجدانه وعاطفته وتطلعاته وأفكاره التي يسعى إليها من خلال شعره ، ومن ثم فإننا لا نتناول التشبيه – هنا – بوصفه علاقة ربط أو تماثل بين شيئين ، من خلال نقاط التلامس والتقارب بين المشبه والمشبه به ، إنما نسعى إلى الكشف عن دور التشبيه وتوظيفه في إنتاج دلالة رمزية – في الشعر الجاهلي – ترتبط بالدلالة على الوجود والبقاء والاستمرار وبقاء الحياة وتجددها ، وهكذا حاول الشاعر

---

(١) منظور ، ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق / أحمد حيدر ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣ ، ص٦٢٢ .

(٢) القزويني ، الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق / محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات ، القاهرة ، مصر ، ط٢ ، ٢٠٠٨ م ، ص١٦ .

(٣) رشيق ، ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج١ ، دار الجيل ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨١ ، ص ٢٥٦ .

(٤) عبد الرحمن ، نصرت : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، مكتبة الأقصى ، عمان ، الأردن ، ١٩٧٦ ، ص ١٤ .

الجاهلي توظيف بعض صور التشبيه في السعي إلى تلك الدلالات الرمزية من خلال علامات ورموز ومفردات لغوية ، تسهم في تأكيد هذه الدلالة الرمزية للتشبيه ، وقد كان للسياق دوره في الإيحاء بتلك الدلالات الرمزية ، فالرمز وسيلة للتعبير عن فكرة او إحساس لا يمكن التعبير عنه من خلال معادل لفظي ، وهو- أي الرمز - وليد السياق ، " فالرمز في الاستعمال الفني هو ابن السياق وأباه معا " (١) .

المبحث الأول

التشبيه بالماء ومفرداته

إن من أبرز مفردات التشبيه في الشعر الجاهلي (الماء) وما يتصل به من مفردات و علامات لغوية (الماء – المطر – السحاب – المزن – الغمام – الطل – الندى - السبل – السيل - .....) ، ولم يكن اختيار الماء عند شعراء الجاهلية عبثيا ، إنما كان مقصودا منهم فالماء رمز الوجود والحياة والبقاء والدوام والتجدد والاستمرار ، " إن استحضار فعل الماء وقوته ..... يعكس جدلية الوجود ، حيث لا حركة إلا به ، ولا وصولا إلا عن طريقه " (٢) .

ولقد ارتبطت دلالات الماء ومفرداته في التشبيه الجاهلي بدلالات متنوعة ومتباينة ، فجاءت في سياق وصف المرأة في قول امرئ القيس :

مهفهفةٌ بيضاء غير مُفاضةٍ ترائبها مصقولة كالسجنجل

كبكر المقاناة البياض بصُفرةٍ غذاها نمير الماء غير المحلل (٣) .

شبهها ببيض النعام أو بكر النعام المشوب بصفرة غذّاها الماء النمير الصافي ، وقد حاول تكثيف البياض والإشراق لما له من دلالات الجمال والصفاء والشفافية والنقاء التي تبدو من مظاهر الدلالة ، ولكن الشاعر قد ينحو بالدلالة إلي اتجاه أبعد حينما يستخدم مفردات البكارة

---

(١) عبدالله ، محمد حسن عبدالله : الصورة والبناء الشعري ، دار المعارف ، مصر ، د ت ، ص ١٥٣ .

(٢) مسكين ، **حسن مسكين : الخطاب الشعري الجاهلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، ص٤٧ .**

(٣) القيس، امرؤ القيس : ديوانه ، تحقيق ، / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، ط٥ ، ص٩٩.

والماء ، فالبكارة توحي بالجمال والنقاء والأمل ، وجاءت دلالة الماء النمير الصافي لترتبط بمعان ودلالات الحياة والخصب والعطاء والتجدد والاستمرار وبقاء الوجود .

إن الدلالة الجمالية ظاهرة مكشوفة من خلال استعمال المرأة كرمز للبياض والإشراق والجمال ، ولكن الدلالة الأسمى والأبعد التي يسعى إليها الشاعر تمتد إلى الربط بين المرأة رمز الخصوبة والعطاء والحياة والبقاء والتجدد والاستمرار ، وبين الماء رمز الوجود والحياة والبقاء والاستمرار ، " إن المرأة عند امرئ القيس رمز فني مفتوح الدلالة ، يرمز إلى القوة والجمال والشباب والخصوبة ، .... وتتعداها لتكون رمزا للحياة والتجدد في حد ذاتها " (١) .

- وقد وردت أبياته هذه في معلقته :

قفا نبكِ من ذكري حبيبٍ ومنزلِ

والتي قال فيها :

تري بعد الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل

فشبه بعر الآرام أو الظباء (بالحب) أو البذور فيما يرمز إلي التجدد والبعث وإعادة الحياة (٢) .

وقول الحادرة :

وإذا تنازعكُ الحديث رأيتها حسناً تبسمها لذيذ المكرع

بغريض سارية أدرته الصَّبا من ماءٍ اسجَّر طيب المستنقع (٣) .

---

(١) خليف ، يوسف : دراسات في الشعر الجاهلي ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ط٢ ، ١٩٨١ ص ١٨١ .

(٢) راجع ،: ناصف، مصطفى، قراءة ثانية لشعرنا القديم ، منشورات الجامعة الليبية ، ص٥٧ .

(٣) الضبي ، المفضل : المفضليات ، تحقيق / أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصر ، ط٧ ، ١٩٨٣ ، ص ٤٤ .

فشبه الريق بماء السحابة الصافي السارية ليلاً ، " ويختار الشاعر جزءاً من المرأة أو صفة فيها لكي يتخذها تكأة للدخول في صورة أخري " [١] . ، هي وصف الطبيعة وجمالها مازجا بين الطبيعة وجمال محبوبته وقد وردت مفردات الماء (السارية – ماء) فجمع بين دلالات المرأة والماء ، ليسعي الشاعر من خلالها إلي الدلالة المرجوة والتي يرمز من خلالها إلى النماء والحياة والبعث والأمل والتفاؤل وبقاء والوجود ، واختار من جمال المرأة (التبسم) والذي يرمز إلى التفاؤل والأمل مما يؤكد رمزية التشبيه و الدلالة المرجوة .

والدلالة ذاتها في قول عنترة بن شداد :

إذ تستبيك بذي غروبٍ واضحٍ عذب مُقبله لذيذ المطعمِ [٢] .

ربط بين الريق العذب والماء في دلالة الارتواء ولذة المذاق من خلال تشبيه مذاق الفم بالشراب أو الماء العذب ، وفي كلمة (عذب) إيماءات واضحة إلى الماء العذب ، ولذا فهو يحاول الجمع بين دلالتي (المرأة) رمز الخصوبة والأمومة والعطاء والتجدد والدوام وبقاء الحياة ، ودلالة (الماء) رمز الوجود والحياة والبقاء والقدرة على بعث الحياة والنمو والإنبات والتجدد ، لتنسجم الدلالتان وتتعاونا في إنتاج دلالة رمزية الوجود .

وقول أوس بن حجر :

يا مَنْ لبرقٍ أبيتُ الليل أرقُبه في عارضٍ كمضيء الصبحَ لمَّاح [٣] .

إن مراقبة البرق وانتظار العارض المضيء الذي قد يأتي بالمطر والرزق فيه دلالة على الأمل والتفاؤل والحياة والبقاء والاستمرار والتجدد ، والبرق والصبح والعارض أو السحاب رموز تشي بدلالات الإشراق والضياء والأمل والتفاؤل والحياة والبقاء واستمرار الوجود .

---

(١) عبد الحافظ ، صلاح : الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي ، ج٢ ، دار المعارف ، مصر ، ط١ ، ١٩٨٣ ، ص ١٧١ .

(٢) شداد ، عنترة : ديوانه ، تحقيق / مجيد طراد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٢ ، ١٩٩٢ ، ص ٧٦ .

(٣) حجر ، أوس بن حجر : ديوانه ، تحقيق وشرح د / محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٩٧٩ ، ص ١٥ .

يقول امرؤ القيس :

أصاحِ ترى برقاً أُريك وميضَه كلمع اليدين في حبي مُكللِ

يضيء سناه أو مصابيح راهبٍ أَمَال السليط بالذُّبال المفُتَّلِ

كأن ثبيرا في عرانين وبله كبير أناس في بجاد مزمّل (١) .

مستخدما وسيلة أسلوبية هي التجريد شبه لمعان البرق وتحركه بتحرك اليدين ، كما أن ضوء البرق يشبه مصباح أو مصابيح الراهب إذا صُبَّ عليه الزيت ليضيء .

إن دلالة السحاب المتراكم والبرق المضيء وضوء المصابيح كلها مفردات تحمل ظلال الإيحاء بالأمل وعودة الحياة وتجدد الماضي وعودته ، وترمز إلى التفاؤل والإشراق والحياة وبقاء الوجود ، ولذلك فهو يكثف من دوال الضوء والإشراق (برقا – وميضا – لمع – يضيء – سناه – مصابيح).

وقول عنترة في السحاب أمطر على روضته :

جَادَتْ عليه كل بكرٍ حُرّةٍ فتركن كل قرارةٍ كالدِّرهم (٢) .

إن هذه السحاب البكر النافعة أمطرت على تلك الروضة ، حتي تركت كل حفرة أو بقعة في الأرض كالدرهم المضيء اللامع لاستدارتها بالماء وبياض مائها وصفائه ،ولا يخفى ما في دلالة الماء الصافي والدرهم اللامع من إشارات وإيماءات إلى الصفاء والنقاء والإشراق والأمل والتفاؤل والحياة والتجدد والدوام وبقاء والوجود .

يقول امرؤ القيس في محبوبته :

إذا ما استَحمتْ كان فيضُ حميمها على متنيها كالجمان لدى الجالي (٣) .

---

(١) امرؤ القيس : ديوانه ، ص ١٠٠ .

(٢) عنترة : ديوانه ، ص ٧٧ .

(٣) امرؤ القيس : ديوانه ، ص٦٨ .

إن دلالة البياض واللمعان والجمال هي دلالة ظاهرة للنص من خلال لمعان وضياء الفضة الذي ينعكس على المحبوبة ، ولكن ربط دلالة الماء بدلالة المرأة أو المحبوبة ربما كانت الدلالة الأعمق والأسمى التي يسعى إليها الشاعر ، فكلاهما (الماء والمرأة) قد يرمز إلي الحياة والعطاء والخصوبة والإثمار والإنبات والتجدد والدوام واستمرار الحياة وبقاء الوجود .

وقول الأعشى :

غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوحل

كأن مشيتها من بيت جارتها مرُّ السحابة لا ريب ولا عجل (١) .

إن الدلالة الجمالية تشع في أبيات الأعشى من خلال مفردات وعلامات بياض اللون وطول الشعر ولمعان الأسنان وليونة الحركة ونعومتها ، ولكن الدلالة تمتد إلى ما هو أبعد وأعمق من خلال الربط بين دلالتي (المرأة والسحابة / الماء) ، في محاولة للجمع بين الدلالتين والسعي للرمز إلى دلالات أسمى ترتبط بالوجود والبقاء والخصوبة والعطاء والحياة ، " إن المرأة كالمطر / الماء ، رمز للخصب والحياة والنماء ، وشوقه وحبه لها ، كحبه وشوقه للمطر ، لذلك استعار لوصفها أجمل ما في فكرة المطر من معان " (٢) .

وفي قول لبيد بن أبي ربيعة :

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها (٣) .

شبه الطلول أو الأطلال بعد نزول السيول عليها وتجددها بعد إزالة ترابها وغبارها بفعل الماء بالزبر أو الكتب التي يتجدد محتواها بالأقلام والكتابة ، والجديد – هنا – أن الشاعر يستخدم السيول في دلالة مغايرة فقد فرغها من دلالتها الأصلية المرتبطة بالتدمير ، واستخدمها في دلالة عمران وتجديد وبقاء للمكان ، ومن ثم فهو يوظف السيول كرمز أو علامة يسعى من خلالها

(١) الأعشى : ديوانه ، تحقيق د / محمود الرضواني ، وزارة الثقافة ، الدوحة ، قطر ، ط١ ، ٢٠١٠ م ، ص ١٣٠ .

(٢) السويدي ، سلامة : المطر في الشعر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي ، مخطوط دكتوراه ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، جامعة القاهرة ، مصر ، ١٩٩١ ، ص ١٠٧ .

(٣) ربيعة ، لبيد بن أبي ربيعة : ديوانه ، تحقيق د / إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢ ، ص ٨٧

إلى التطلع وتمني التجدد والدوام والحياة وبقاء المكان / الأطلال ليبقى المكان أو الطلل علامة وجودية ورمزا للبقاء واستمرار الوجود ، وكأن الشاعر يرفض الحاضر / فناء المكان ولا يقبله ، " فالسيل – هنا - يحمل دلالات إيجابية مضمرة في أنساق النص " (١) .

وقول الأعشى :

كأن حدوج المالكية غدوةً نواعم يجري الماء رفها خلالها (٢) .

شبه هوادج النساء وقت الرحيل بالرياض والأزهار التي يجري بها الماء ، في إشارة إلى رمزية الوجود والخصب والبقاء والتجدد ودوام الحياة .

وكلها دلالات مستمدة من الماء ومفرداته في الشعر الجاهلي والتي لابد وأن توحي بهذه الدلالات ، لما كان للماء من قيمة كمصدر من مصادر الحياة في هذه البيئة الصحراوية ، كما أن هذه النماذج وردت أيضا في سياق الحديث عن الأطلال وتذكر الديار أو ملتصقة بتلك السياقات قريبة منها ، فجاء الماء ليرمز إلى الخصب والنماء وإعادة الحياة والبعث والتجدد والأمل واستمرار الحياة وبقاء الوجود .

استطاع الشاعر الجاهلي من خلال التشبيه بالماء ومفرداته ، أن يسعى إلى دلالات رمزية ترتبط بالوجود والبقاء والحياة والنماء والتجدد والاستمرار ، وهي معان يتطلع إليها بعاطفته وأفكاره ، وإن اختلف السياق العام التي وردت فيه مفردات الماء وعلاماته في الشعر الجاهلي ، فقد جاءت في سياق وصف المرأة ، والتصقت كذلك بسياق الأطلال وتذكر الأهل والديار .

المبحث الثاني

تشبيه المرأة بالغزال والشمس

من المفردات كثيرة الدوران في التشبيه لدى شعراء الجاهلية ، تشبيه المرأة بالغزال ومفرداته الظبي والشادن والرئم ونحوها ، فقد " ربط الشعراء الجاهليون أثناء حديثهم عن الجمال والرشاقة ، بين صورة المرأة وصورة الغزال حتى صارت من رموز المرأة التقليدية التي تضمنها الشعر العربي " (٣) . ، كما ربط شعراء الجاهلية بين المرأة والغزال كرموز حية

---

(١) عليمات ، يوسف : النقد الثقافي تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٥ م ، ص ٤٧ .

(٢) الأعشى : ديوانه ، ص ١٠٧ .

(٣) سلام ، د / محمد زغلول سلام : مدخل إلى الشعر الجاهلي دراسة في البيئة والشعر ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، (د ت) ، ص ٣٠ .

للخصوبة والتجدد وبقاء الحياة ، " وقد لجأ الشعراء إلى المرأة لتشبيهها بالظبي حيث احتوت هذه التشبيهات على دلالات الخصب ، إذ نهج الشاعر على الربط بين جمال المرأة الحسي ودلائل الخصوبة " (١) . وكذلك التشبيه بالشمس في الجمال والضياء والإشراق ، كما أن الشمس مصدر من مصادر الحياة والبقاء على الأرض ، " وقد خلع العرب صفة الأمومة على الشمس فاعتبروها الإلهة الأم ، ثم جمعوا الصور المختلفة الممثلة للأمومة والخصوبة فانتقوا الغزال والحصان من الحيوان ، والنخلة من النبات ، والمرأة من الإنسان وجعلوها رموزا مقدسة للشمس " (٢) . ولا تخفي الدلالة القدسية للشمس لدى شعراء الجاهلية " وإذا كانت الشمس معبودة ، فالظبية والمرأة تحملان شيئا من هذه القدسية لارتباطهما بها دلاليا " (٣) .

وقد ورد تشبيه المرأة بالغزال في دلالات متنوعة إلي جانب دلالات الجمال والحيوية والإشراق واللمعان ، كان للسياق دور بارز في تحديدها .

يقول امرؤ القيس في سلمي :

وتحسب سلمى لا تزال طلاًّ من الوُحش أو بيضاً بميثاء محِلالِ

ليالي سلمى إذ تُريك مُنصَّباً وجيداً كجيد الرئم ليس بمعطال (٤) .

إن تشبيه سلمى أو المحبوبة بالرئم وهو ولد الظبية أو الطل وهو ابن الغزالة ، إلي جانب الدلالة الجمالية والبياض وطول العنق والرشاقة ونحوها ، فإنه يتعدى إلى دلالات الخصوبة والعطاء والتجدد واستمرار الماضي وبقائه في نفسه والأمل في العودة إليه ، من خلال علامات ورموز (المرأة أو المحبوبة / الظبية – الطل – الميثاء أو طريق الماء) ، ومن ثم فهو يجمع بين دلالات المرأة والظبية والماء في سعي منه إلى تكثيف الدلالة الوجودية أو رمزية الوجود .

والدلالة ذاتها في قول طرفة :

خذول تراعي ربربًا بخميلة تناول أطراف البرير وترتدي (١) .

---

(١) كنون ، د / محمد عبد الحفيظ : السمات الأسطورية في الشعر الجاهلي ، د ت ، ص ٣٦٠ .

(٢) البطل ، د / علي البطل : الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها ، ط٢ ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣ ، ص ٥٧ .

(٣) عبد الرحمن ، د / إبراهيم عبد الرحمن : التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي ، مجلة فصول في النقد الأدبي ، مج١ ، ع ٣ ، أبريل ١٩٨١ ، ص ١٣٧ .

(٤) امرؤ القيس : ديوانه ، ص ١٠٢ .

والخذول أي خذلت صاحباتها وأقامت على ولدها ترعاه ، والشاعر يشبه المرأة بالظبية التي تراعي أولادها (الربرب أي قطيع الظباء) ، وهو يحاول توظيف التشبيه في السعي إلى دلالة رمزية ترتبط بالخصوبة والعطاء والوجود ، عبر رموز وعلامات (المرأة – الربرب – خميلة وهي الأرض اللينة – البرير وهو ثمر الأراك) .

يقول ربيعة بن مقروم :

كأنها ظبيةً بكر أطَاعَ لها من حوملَ تلعات الجو أو أُودا (٢) .

أي أنها اتسع لها المرعى في الأرض حتي قويت وسمنت ، ودلالة التشبيه بالظبية البكر تعكس معاني ودلالات الحيوية والجمال إلي جانب الإيحاء بدلالات الأمل والخصوبة والعطاء والتجدد واستمرار الحياة وبقاء الوجود .

والدلالة ذاتها في قول عنترة :

وكأنما نَظَرتْ بعيني شادنٍ رشأ من الغزلان ليس بتوأم (٣) .

إن التشبيه بالشادن وهو ولد الظبية يحمل نفس الدلالة المرتبطة بالرمز إلى الأمل والحياة والبقاء والتجدد وتتابع الأجيال وبقاء الوجود .

وقول الحادرة :

وتَصدفتْ حتى استبتك بواضحٍ صلتٍ كمنتصب الغزال الأتلعِ (٤) .

شبه عنقها (الواضح الصلت) في إشراقه ولمعانه وشدة بياضه بلمعان وضياء عنق الغزال الأتلع وإشراقه وطول عنقه ، و (الغزال الأتلع) وهو الطويل العنق ، كناية عن طول عنق المحبوبة فالدلالة الجمالية مكشوفة لا تخفى ، ولكن الدلالة تمتد إلى ما هو أسمى من خلال دلالات الغزال والبياض والإشراق وهي علامات ورموز ترتبط بدلالات الأمل والتفاؤل والحياة وبقاء الوجود .

وقول عامر بن الطفيل :

---

(١) العبد، طرفة بن العبد : ديوانه ، شرح الأعلم الشنتمري ، تحقيق / دريه الخطيب ولطفي الصقال ، المؤسسة العربية ، بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠٠ ، ١٠٦ .

(٢) **المفضليات : ص ٦٥ .**

(٣) **شداد ، عنترة : ديوانه ، ص ٧٧ .**

(٤) **المفضليات : ص ٤٩ .**

ليالي تستبيك بذي غروبٍ ومُقلة جؤذرٍ يرعي بشَامَا (١).

والتشبيه بالجؤذر وهو ولد الظبية يعكس نفس الدلالات المرتبطة بالأمل والبقاء وتعاقب الأجيال واستمرار الحياة وبقاء الوجود ، إلى جانب دلالات ومعاني الجمال والحيوية.

يقول طرفة بن العبد :

لخولة أطلالٌ ببرقة ثَمْهد تلوحُ كباقي الوشم في ظاهر اليد

وفي الحي أحوي ينفض المرد شادن مُظاهر سَمْطي لؤلؤٍ وزبرجد (٢).

إن تشبيه الشاعر الطل بالوشم في الذراع يعكس دلالة نفسية ترتبط ببقاء تلك الحياة السالفة بأطلالها وذكرياتها وأماكنها في نفسه ، بل إنها محفورة ثابته مستمرة لا تتغير كحال الوشم المحفور في العروق والذراع ، ثم يأتي تشبيه المحبوبة أو خولة في البيت الثاني ليعضد الدلالة ويوحي بالأمل والتجدد والبقاء واستمرار الحياة السالفة والرجوع إليها والحنين الدائم لها ، هذا إلى جانب ما يحمله تشبيهها بالشادن من دلالات الجمال والبياض والحيوية والشباب ورموز ومعاني الخصوبة والعطاء وبقاء الوجود .

ويقول النابغة في المتجردة :

نَظَرتْ بمقلة شادنٍ متربِّبٍ أحوى أحمّ المقلتين مقَّلدِ (٣)

شبهها بالشادن أو ولد الظبية في حسن العين وجمالها ، والدلالة الجمالية ظاهرة لا تخفى ، وزادها تأكيدا ما ترتديه من حلي وقلائد تتحلي بها ، كما أنه يتبع النهج ذاته ويستخدم الشادن الذي يعكس دلالات التجدد والدوام واستمرار الحياة وبقاء الوجود .

وقوله في النساء واحتضانهن الأبناء :

ويضربن بالأيدي وراء بزاغرٍ حسان الوجوه كالظباء العواقدِ (٤).

يضربن بالأيدي : يلزمن أولادهن ويضممنهن إليهن تأنسا بهم ، وقال العواقد أي التي تحنو على أولادها ، فارتبطت دلالة التشبيه بالظباء بالأمان والحنان والدفء ومشاعر الأمومة الرقيقة

---

(١) الأصمعي، عبد الملك بن قريب : الأصمعيات تحقيق / أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٤، دار المعارف ،١٩٧٦،ص ٨٣.

(٢) العبد، طرفة بن العبد : ديوانه ، صـ ٧٢ .

(٣) الذبياني ، النابغة الذبياني : ديوانه ، تحقيق / محمد أبو الفضيل إبراهيم ، طـ ٢ ، دار المعارف ، مصر ، صـ ٩١ .

(٤)المصدر السابق : ص ٩٧ .

، كما أنه استخدم (بزاغر) وهي ولد البقرة في إشارة أيضا إلي التعاقب واستمرار الحياه والتجدد والبقاء .

وقول أوس بن حجر :

وقد لهوتُ بمثل الرئم آنسةً تُصبي الحليم عروبٍ غير مكلاح (١) .

أضاف إلى دلالة الرئم هنا – دلالة العروب الغير مكلاح أي الضحوك المتحببة الغير عابسة ليضفي عليها دلالات الجمال المادية والمعنوية في آن ، إلى جانب ما قد ترمز إليه مفردات الغزال أو الرئم من الخصوبة والعطاء وبقاء الوجود وتجدد الحياة واستمرارها .

يقول زهير بن أبي سلمى:

قامت تراءى بذي ضال لتحزنني ولا محالة أن يشتاق من عشقا

بجيد مغزلة أدماء خاذلة من الظباء ترعى شادنا خرقا (٢) .

فهي كالظبية التي تحنو على ولدها وترعاه لضعفه وقلة حيلته ، إن دلالة الأمومة هي الدلالة التي يسعى إليها الشاعر والتي ترمز إلى الوجود والخصوبة والعطاء والحياة والبقاء .

وكما شبه الجاهليون المرأة أو المحبوبة بالغزال والرئم والشادن على نحو ما سبق ، فإنهم كذلك شبهوها بالشمس بجامع البياض والإشراق واللمعان وإن كان التشبيه بالشمس يوحي بدلالة أخرى إضافية ربما ترتبط بدلالات قدسية أو تقديس المرأة .

يقول طرفة بن العبد :

وتبسم عن ألمي كأنّ مُنوراً تَخَلَلَ حرُّ الرمل دِعصٌ له ندى

سقتْه إياة الشمس إلا لثاته أُسِفَّ ولم تكدم عليه بإثمد

ووجهٌ كأن الشمس حَلَّتْ رداءها عليه نقي اللون لم يتخدد (٣) .

إن التشبيه بالشمس يكثف من الدلالة الجمالية الظاهرة التي ترتبط بالضياء واللمعان والإشراق ، وفي التعبير (حلّت رداءها عليه) كناية عن شدة البياض والإشراق ، وتفيد تأكيد وإلصاق

(١) حجر ، أوس بن حجر : ديوانه ، ص ١٠٣ .

(٢) سُلمى، زهير ابن أبي سلمى : ديوانه ، تحقيق د / فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٠ ص ٧٣ .

(٣) العبد ، طرفة : ديوانه : ص ٩٣ .

تام لهذه الدلالات بوجه المحبوبة بحيث لا تفارقه ولا تنفك عنه ' وفيه إيحاء وإشارة بأن الشمس قد خلعت كل صفات البياض والإشراق والضياء على وجه محبوبته ، وإلي جانب هذه الدلالة الجمالية فإن تشبيه المرأة بالشمس " قد يتعدى إلي دلالة قدسية أو دينية فيوحي بتقديس المرأة ومكانتها لما كان للشمس من مكانة دينية وقدسية في نفوس الجاهليين " (١) ، هذا إلى جانب ما قد ترمز إليه الشمس من معان ودلالات ترتبط بالعطاء والخصوبة والحياة وبقاء الوجود ، فالربط بين دلالتي (المرأة والشمس) مقصود ويسعى إليه شعراء الجاهلية ، " فهي صورة تكشف عن هذه العلاقة المعقدة ، التي تربط بين المرأة والشمس ونظائرها ، أو قل رموزها الأخرى من الأمومة والخصوبة " (٢).

يقول قيس بن الخطيم :

تغترفُ الطرفَ وهي لاهيةٌ كأنها شفَّ وجهها نُزفُ (٣).

أي تغرق فيها العين لشدة جمالها وضيائها ولمعانها وتعلو وجهها (نُزف) أي صفرة كالشمس ، وغرق الطرف أو العين حين النظر إليها فيه دلالة على أن العين لا تقوى على النظر إليها من شدة اللمعان والضياء وكأنها الشمس مما يشي بدلالات جمالية مكشوفة ، كما أنه أيضا يوحي من بعيد إلى تلك الدلالة القدسية والمكانة السامية في النفس ، إلى جانب ما قد يرمز إليه التشبيه بالشمس من معاني العطاء والحياة وبقاء الوجود .

وقول سويد بن أبي كاهل في وجه محبوبته :

تمنحُ المرآة وجهاً ضاحكاً مثل قرن الشمس في الصحو ارتَفَع (٤).

رغم لمعان وضياء وصفاء المرآة فإن وجه المحبوبة تعدَّي كل هذه الدلالات وزاد عليها حتى إنه يخلع ضيائه وصفائه ولمعانه على المرآة ، وقد جاء التشبيه بالشمس ليؤكد هذه الدلالات وتلك الصفات كما . هذا إلى جانب ما ترمز إليه الشمس من دلالات وجودية وقدسية للمرأة اكتسبتها من التشبيه بالشمس . ولا يخفى ما في الفعل (تمنح) من علامات ورموز ترتبط بالإشارة إلى معاني العطاء والخصوبة والبقاء والتجدد المرتبطة بالمرأة .

وقول النابغة الذبياني :

---

(١) راجع عبد الرحمن، إبراهيم عبد الرحمن : الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية ، مكتبة الشباب ، القاهرة ،مصر ، د ت ، صـ ٣٤٥ وما بعد ها .

(٢) عبد الرحمن ، إبراهيم : السابق ، ص ٣٤٩ .

(٣) المفضليات : ص ٦٤.

(٤) المفضليات: ص٦٦ .

قامتْ تَراءَى بين سِجفي كَلَّةٍ كالشمس يوم طلوعها بالأسْعُد (١) .

إن اختيار الأسعد فيه دلالة على إكمال وتمام صفات الحسن والجمال والإشراق في المحبوبة وأنها وصلت حد الكمال . إن الدلالة الجمالية – هنا – ظاهرة مكشوفة ، ولكنها ليست المآل من الدلالة الحقيقية والتي قد تمتد إلى دلالات قدسية وترتبط بمعاني الوجود والبقاء والخصوبة والتجدد ودوام الحياة .

يقول امرؤ القيس :

برهرهةٍ كالشمس في يوم صحوها تضيء ظلام البيت في ليلة الدجى (٢) .

إن دلالة الإشراق والبياض والجمال ظاهرة ، ولكن الشاعر يسعى إلى دلالة الوجود والعطاء والخصوبة والحياة ، إلى جانب الدلالات القدسية من خلال التشبيه بالشمس ،وقد تأتي مفردات (الصحو / تضيء) كعلامات ورموز يسعى من خلالها الشاعر إلى تعميق دلالات الحياة والنشاط والأمل والتفاؤل والاستمرار ورمزية الوجود .

هكذا ارتبط تشبيه المرأة بالغزال والشمس في الشعر الجاهلي إلي جانب الدلالات الجمالية بدلالات أخري وجودية كالخصوبة والعطاء والتجدد وتعاقب الأجيال والاستمرار والدوام من خلال استخدام الشادن والرئم والطل ونحوها ، هذا إلى جانب الدلالات القدسية والدينية المستوحاة من التشبيه بالشمس ، لما كان للشمس من مكانة سامية ومقدسة في نفوس الجاهليين .

المبحث الثالث

وصف المرأة من خلال

(طيب الرائحة / حلاوة الريق/جمال الشعر)

من المفردات شائعة الدوران في تشبيهات المرأة في الشعر الجاهلي وصف المرأة من خلال كلمات و ألفاظ ، طيب الرائحة وعذوبة الريق ورقة الصوت وجمال الشعر ، إن المرأة هي مصدر الجمال كما رآها الشاعر الجاهلي ، " فهي المخلوق الجميل الذي وهبه الله له ، ولهذا نرى المرأة رمزا للحياة والجمال والسعادة ، كما تمثل من ناحية أخرى رمزا للزمن ، ..... والشاعر الجاهلي وفرَّ لنموذج المرأة تشكيلا جيدا يحوي عناصر الجمال والفتنة والسحر

(١) الذبياني ، النابغة ، ديوانه ، صـ ٩٦.

(٢) امرؤ القيس : ديوانه ، ٣٦٨ .

والأنوثة " [١] ، وفي ظل حياة الصحراء القاسية التي كان يحيا فيها الشاعر الجاهلي " فالمرأة كانت بمثابة الواحة في قلب الصحراء المقفرة ، وهي واحة تمثل فردوس الجاهلي " [٢] .

يقول امرؤ القيس في وصف محبوبته :

إذا التفتت نحوي تَضوَّعَ ريحها نسيم الصَّبا جاءت بريَّا القرنفل

إذا ذُقتُ فاها ، قلتُ طعمُ مدامةٍ مُعتَّقةٍ مما تجئ به التُجرُ [٣] .

شبه رائحتها الذكية بطيب النسيم ورائحة القرنفل ، وريقها العذب بحلاوة الخمر وكأن كلاهما مسكر من شدة حلاوته في نفسه ، إذ نلمس في تشبيهاته دلالات جمالية رقيقة يحاول الشاعر أن يضفيها على محبوبته من طيب الرائحة وعذوبة الريق وحلاوته .وإلى جانب الدلالة الجمالية الظاهرة فإن الشاعر يستخدم مفردات (القرنفل- الصَّبا – مدامة) كعلامات ورموز قد تشير إلى معاني الوجود والحياة والسمر والاستقرار .

ويقول في المعنى ذاته :

إذا ما قامتا تضّوع المسك منهما نسيم الصّبا جاءت بريا القرنفل [٤] .

وقول المرقش الأصغر :

وما قهوة صهباء كالمسك ريحها تُعلي على الناجود طورا وتُقدح

بأطيب من فيها إذا جئت طارقا من الليل بل فوها ألذ وأنصح [٥] .

إن الدلالة الجمالية ظاهرة مكشوفة من خلال المزج بين جمال الريق الذي يبدو كالخمر أو القهوة ، وطيب الرائحة التي تبدو كالمسك أو نسيم الصّبا ، ولعل مبعث الجمال في التشبيه – هنا – أنه جمع بين المذاق والمشموم فيما يعرف بتراسل الحواس ، في انسجام وتآلف بين الدلالتين (المذاق / المشموم) ، ليتعاونا في إنتاج دلالة جمالية ، و مبعث الجمال الجاري بين

---

(١) عبد الجليل ،يوسف حسني : عالم المرأة في الشعر الجاهلي ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠٦ ، ص ١٤ .

(٢) عبدالجليل ، يوسف حسني : الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط١ ، ١٤٣٢ ، ٢٠١١ م ، ص ٢٠١ .

(٣) امرؤ القيس : ديوانه ، ص ١٠٥.

(٤) امرؤ القيس : ديوانه : ص ٣٦٧ .

(٥) المفضليات : ص ٧٨.

الحسيات هنا يتجلى في " مدى ما يشي به من عمق الملاحظة ودقة الحس ونفاذ الرؤية ، ومن أسباب لك وقوعه بين الأشياء المتباعدة في النفس ، بمعنى أن أحد طرفي التشبيه لا يحضر في النفس ولا يرد إلى الخاطر عند حضور الطرف الآخر " (١) ، ولكن الشاعر فيما سبق قد يذهب إلى دلالة رمزية أبعد وأعمق من خلال علامات (القهوة – المسك – المدام – ريا القرنفل – نسيم الصَّبا ...) ، والتي ربما تجيء كرموز يسعى الشاعر من خلالها إلى معاني ومظاهر الجمال والحياة والتفاؤل والاستقرار والتجدد وبقاء الوجود

وقد يجمع الشعراء بين جمال الريق ودلالة الماء ، كما في قول تأبط شرا :

كأن جنا الكافور والمسك خالصا وبرد الندى والأقحوان المُنزَّعا

وقلتًا وقرت فيه السحابة ماءَها بأنيابها والفارسي المشعشعا (٢) .

شبه جمال الرائحة بالكافور والمسك ، وبياض ولمعان الأنياب بالكافور والبرد والأقحوان ، وجمال الريق بالخمر الممزوج بالماء في صورة حيوية تشع باللون والرائحة لا تنحصر فيها الدلالة على مغزاها الجمالي ، إنما تمتد من خلال الجمع بين جمال الريق (المرأة) ودلالة السحاب (الماء) إلى رمزية البقاء والحياة والخصوبة والتجدد والاستمرار والوجود من خلال رمزية (المرأة / الماء أو السحابة) .

والدلالة ذاتها في قوله :

فإذا تقوم فصعدةٌ في رملةٍ لَبَدَت بريق الديمة لم تغدق (٣) .

شبه قوامها بالصعدة أو القناة المستقيمة (دلالة استواء القوام واعتداله) ، وشبه جمال الريق بالديمة أو المطر ليسعى إلى الدلالة الرمزية الوجودية والخصوبة والعطاء والبقاء .

يقول امرؤ القيس :

كأن المدامُ وصوب الغمام وريح الخزامي وذوب العسل

يُعلُّ به برد أنيابها إذا النجم وسط السماء استقل (٤) .

---

(١) السيد ، د/ شفيع السيد : التعبير البياني ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، مصر ، د ت ، ص ٨٢ .

(٢) الأصمعيات : ص ٣٨ .

(٣) المصدر السابق : ٣٩ .

(٤) امرؤ القيس :ديوانه ، ص ١١٠ .

حيث نلحظ التآلف والانسجام التام بين دلالتي الخمر والماء / أو صوب الغمام، هذا الترابط والانسجام بين الدلالتين أنتج دلالة واحدة منسجمة ارتبطت بالجمال والصفاء والانسياب ، كما يسعى من خلال المزج بين دلالتي الماء و الخمر وارتباطها بالمرأة أو المحبوبة ليرمز كذلك إلى دلالات الحياة والبقاء والتجدد والدوام والوجود .

ولذلك قال في موضع آخر :

قليلة جُرس الليل إلا وساوسًا وتبسمُ عن عذب المذاقة سلسال (١) .

أضاف إلى عذوبة الريق وحلاوته نعومة السير وخفة الحركة (قليلة جرس الليل) فلا يسمع صوت خلخالها مهما تحركت، وقد شبه عذوبة الفم هنا بالماء السلسال فربط الفم بالماء وهو ربط بمصدر الحياة والبقاء والاستمرار، كما أن التشبيه الثاني يعمق دلالة التشبيه الأول المرتبطة بالجمال والشباب والرشاقة والحيوية .

يقول عنترة في عبلة :

يبيتُ فُتات المسك تحت لثامها فيزدادُ من أنفاسها أرج الند

وبين ثناياها إذا ما تَبَسّمتْ مُدير مدام يمزج الراح بالشهد (٢) .

شبه طيب رائحتها بطيب رائحة المسك وعذوبة الريق بحلاوة وعذوبة الراح أو الخمر ، وتآلفت دلالة الخمر بدلالة العسل في ارتباط تام وفي صورة جميلة تنعكس دلالاتها على جمال ورقة وحلاوة وعذوبة ريق المحبوبة في دلالة جمالية ظاهرة مكشوفة . وقد جمع بين دلالتي الريق والخمر ليسعى إلى رمزية الوجود والبقاء .

وقول أوس بن حجر في الدلالة ذاتها :

وقد لهوتُ بمثل الرئم آنسةٍ تُصبي الحليم عروبٍ غير مكلاح

كأن ريقتها بعد الكري اغتبقت من ماء أصهب في الحانوت نضَّاح (٣) .

شبه المحبوبة في شده بياضها وجمالها ورقتها بالرئم كما أضفي عليها دلالات معنوية جمالية أخرى فهي متحببة ضحوك غير عابسة ، وقد جاء تشبيه الريق بالخمر في عذوبته وحلاوته لتأكيد الدلالات الجمالية التي يخلعها على محبوبته ، إضافة إلى تلك الدلالات الوجودية التي يسعى إليها والدلالة ذاتها في قول زهير بن أبي سلمي :

---

(١) المصدر السابق : ص ١٧ .

(٢) شداد ، عنترة : ديوانه ، ص ٤٤.

(٣) حجر ، أوس بن حجر: ديوانه ، ص ١٩ .

كأن ريقتها بعد الكري أغتبِقتْ من طيب الراح لما يعد أن عُتِقا

شَجَّ السُقاة على ناجودها شبما من ماء لينة لاطرقاً ولا رنقا (١) .

شبه الريق في حلاوته وعذوبته بالخمر وربط بين دلالتي الخمر والماء البارد العذب لتسجم دلالتي الخمر والماء ، وتنشأ دلالة أخري مرتبطة بالحياة والدوام والاستمرار والبقاء .

وإذا انتقلنا إلي مفردات وصف الشعر نجدها تدور حول الطول والكثافة وشدة السواد ، يقول امرؤ القيس في شعر محبوبته :

وفرعٍ يزين المتن أسود فاحمٍ أثيثٍ كقنو النخل المتعثكل (٢) .

شبه شعرها في طوله وكثافته وتداخله بعنق النخلة المتداخلة بعضه في بعض ، وتبدو الدلالة الجمالية ودلالة الزينة واضحة مكشوفة من خلال الفعل (يزين) ولكن دلالة التشبيه لا تقتصر على الدلالة الجمالية ، إنما تمتد إلي دلالة أعمق ترتبط بالنخلة وثمارها فهي رمز الخير والجود والعطاء واستمرار الحياة ، فربط بين دلالتي (المرأة والنخلة) ليرمز للعطاء واستمرار الحياة وتجددها وبقاء الوجود .

وقول النابغة الذبياني :

قامتْ ترَاءَى بين سِجفي كِلّة كالشمس يوم طلوعها بالأَسْعد

وبفاحمٍ رَجلٍ أثيثٍ نبته كالكَرْم مَالَ على الدِّعام المُسْند (٣) .

شبه شعرها في كثافته وغزارته بعناقيد الكرم أو العنب المائلة على الدعائم ، والدلالة الجمالية واضحة من خلال سواد الشعر وطوله ولكن التشبيه يمتد أيضا بالدلالة إلي الخير والعطاء والإثمار والرزق واستمرار الحياة من خلال التشبيه بثمار الكرم .

ولا تبتعد الدلالات السابقة عن قول عبيد بن الأبرص في الظعائن وتشبيهها بالنخل الموسقة :

كأن أظعانهن نخلٌ موسقةٌ سود ذوائبها بالحمل مكمومة (٤) .

وقول ربيعة بن مقدوم :

---

(١) سُلمى، زهير ابن أبي سلمى : ديوانه ، ص ٤٥ .

(٢) امرؤ القيس : ديوانه ، ص ١٠٠ .

(٣) الذبياني ، النابغة : ديوانه ، ص ٩٦ .

(٤) ، عبيد ابن الأبرص : ديوانه ، تحقيق وشرح د / حسين نصار ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٤ ص ٧٣ .

قامت تُريك غداة البين مُنسدلاً تَخَالهُ فوق متنيها العناقيدا (١) .

إن الدلالة الجمالية بارزة مكشوفة من خلال تشبيه المرأة بالظبية ، وجمال الشعر المنسدل فوق متنيها ، لكن الدلالة الأعمق والأسمى التي يسعى إليها الشاعر ، من خلال الجمع بين دلالات المرأة والظبية والعناقيد ، إنما هي ترتبط بدلالات رمزية يحاول من خلالها الإشارة إلى رمزية الوجود والخصوبة والعطاء والبقاء .

إن إلحاح الشعراء على تشبيه الشعر ... بالنخل والعناقيد والكروم ونحوها ، يؤكد أن الدلالة المرجوة ليست مجرد دلالة جمالية .أو يقف بالدلالة عند التشابه الخارجي والشكلي إنما يتعدا لدلالات أعمق ترتبط بالسخاء والعطاء والإثمار واستمرار الحياة والوجود ، لما كان للنخل والعناقيد والكروم ... من قيمة في حياة الجاهلين وبيئة البادية التي عاشوا فيها .

ومنه كذلك قول المخبل السعدي :

وتضل مِدارها المواشط في جَعْدٍ أغمّ كأنه كَرْمُ (٢) .

ويبدو أن طول الشعر وكثافته وشدة سواده هي أيضا صفات ألح عليها الجاهليون في وصفهم للشعر لأنها في نظرهم صفات تعكس دلالات الزينة والجمال في المرأة كالأسود الفاحم الرجل ، ..... ونحوها .

ومنه قول المزرد بن ضرار :

وأسَحَم ريَّان القرون كأن أساود رمَّان السباط الأطاول (٣) .

وقول المرار بن سعيد :

تَهلكُ المدارة في أفنانه فإذا ما أَرسلتَه يتعفرْ

جعدةٌ فرعاء في جمجمةٍ ضخمة تفرق عنها كالضُفْر (٤) .

حاول شعراء الجاهلية في تشبيه الريق وحلاوته أن يجمعوا بين حلاوة الريق ومفردات طيب الرائحة ، وجمعوا أحيانا بين حلاوة الريق ولذته وبين لذة الإحساس بالكأس أو الخمر، وإن كان الجاهليون قد أضافوا دلالة الماء أحيانا الي دلالة الخمر وحاولوا ربط الدلالات بالمحبوبة

(١) الضبي ، المفضل : المفضليات ، ص ٩٦ .

(٢) المفضليات : ص ١١٦ .

(٣) المصدر السابق : ص ٩٤ .

(٤) نفسه : ٩٥ .

والمرأة فيما قد يرمز إلى الوجود و دلالات الحياة والبقاء والتجدد والاستمرار والخصوبة والعطاء.

وجاء استخدام شعراء الجاهلية تشبيه الشَعر في دلالات جمالية ، ولكنهم تعدوا إلي دلالات أعمق ارتبطت بالسخاء والعطاء والإثمار والحياة وذلك من خلال تشبيه شعر المرأة بالنخل والعناقيد ، " فتعد المرأة هي الأرض المخصَّبة الخضراء وشعرها النخلة المتداخلة جذورها ، رمز الحياة والخصب .... ، وتوحي غدائر الشَعر بالغدران ، فتكثف صورة المياه الجارية الإيحاء بأجواء الحيوية المتدفقة "(١).

وقول عنترة في أمه :

أنا ابن سوداء الجبين كأنها ضبعٌ ترعرع في رسوم المنزل

الساق منها مثل ساق نعامةٍ والشَعر منها مثل حَب الفلفل (٢).

ولا يخفى ما في تشبيه الشعر ب (حب الفلفل) ، من الجمع بين دلالتي (المرأة و الحب أو البذور) ، في دلالة رمزية تشير إلى الخصوبة والنماء والعطاء والتجدد والاستمرار وبقاء الوجود .

نتائج البحث

تناول هذا البحث دراسة (التشبيه و الدلالة على رمزية الوجود عند شعراء الجاهلية)، وقد جاءت هذه الدراسة متضمنة مباحث ثلاثة:

- **المبحث الأول**: وجاء بعنوان (التشبيه بالماء ومفرداته).

وقد حاول البحث تحليل النص الشعري الجاهلي والذي ورد فيه التشبيه بالماء ومفرداته (السحاب – الطل – المطر – السيل .....)، والكشف عن الدلالات المعنوية والجمالية والرمزية المرتبطة بهذه التشبيهات وما قد ترمز إليه تلك المفردات التشبيهية.

- **المبحث الثاني:** وجاء بعنوان (تشبيه المرأة بالغزال والشمس)

وحاول البحث تحليل تلك النصوص الوارد فيها تشبيه المرأة بالغزال ومفرداته (الظبي – الرئم –الطل – الشادن..)، وكذلك تشبيه المرأة بالشمس ودلالاته الجمالية والمعنوية والرمزية في الشعر الجاهلي .

---

(١) يحيى معروف و عاطي بيات : جماليات التغزل والرموز الأنثوية في الشعر الجاهلي ، مجلة النقد والأدب المقارن ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة رزاي ، الجزائر ، عدد٢ ، ٢٠١٢ م ، ص ١٢١

(٢) شداد ، عنترة : ديوانه ، ص ١٦ .

- **المبحث الثالث**: وجاء بعنوان (وصف المرأة من خلال طيب الرائحة - حلاوة الريق – جمال الشعر)

وقد حاول شعراء الجاهلية صياغة تشبيهاتهم من خلال الجمع بين حلاوة الريق وطيب الرائحة فيما يعرف بتراسل الحواس، كما جمعوا بين حلاوة الريق ودلالات الخمر والماء ، وحاولوا الربط بين هذه الدلالات وبين المرأة فيما قد يرمز إلى دلالات الحياة والبقاء والوجود .

- **وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:**

١ – إن استعمال التشبيه ومفرداته في الدلالة على رمزية الوجود في الشعر الجاهلي، لا يقف بالنص الشعري الجاهلي عند حدود الدلالات الجمالية والبلاغية ، إنما يمتد بالدلالة إلى ما هو أسمى وأعمق .

٢ – إن مفردات المرأة والماء والشمس والظبي ارتبطت عند الجاهليين بالدلالة على الوجود و الخصوبة والعطاء والحياة والتجدد والاستمرار.

٣- تنوعت دلالة الماء ومفرداته في الشعر الجاهلي ، فقد جاءت مرتبطة بالدلالة على الحياة والتجدد والاستمرار والدوام وبقاء الوجود ، ووردت في سياق وصف المرأة ملتصقة بسياق الأطلال قريبة منه .

٤- ارتبط تشبيه المرأة بالغزال في الشعر الجاهلي بدلالات الوجود و الخصوبة والعطاء والتجدد وتعاقب الأجيال والاستمرار والدوام من خلال مفردات الشادن والرئم والطل وغيرها . في حين نلمس الدلالة القدسية والدينية و الرمزية من خلال تشبيه المرأة بالشمس لما كان للشمس من مكانة مقدسة لدى الجاهليين

٥- حاول شعراء الجاهلية تشبيه شعر المرأة بالنخل والعناقيد والكروم مما يؤكد أن الدلالة المرجوة ليست جمالية فحسب ، إنما تتعدي إلي دلالات أعمق ترتبط بالسخاء والعطاء والإثمار واستمرار الحياة والرمزية الوجودية ، لما كان للنخل من قيمة في بيئة الجاهليين موازية لقيمة الماء في تلك البيئة.

٦- إن محور اهتمام دراسة النص الشعري لا بد وأن ترتكز في الأساس على تحليل النص فنيا وجماليا ، للكشف عن مغاليقه وأسراره لنصل إلى مقصود الشاعر والدلالة الحقيقة للنص وما قد ترمز إليه مفرداته وألفاظه، دون الاهتمام بالتقسيمات والتفريعات التقليدية ، وإن وجدت تلك التقسيمات والتفريعات فلابد وألا تكون لذاتها إنما لتوظيفها في خدمة النص والدلالة والمعنى.

المصادر والمراجع:

١- الأصمعي (عبد الملك بن قريب): الأصمعيات، تحقيق/ محمود شاكر وعبد السلام هارون،ط٤،دار المعارف، مصر،١٩٧٦م .

٢- الأعشى : ديوانه ، تحقيق د / محمود الرضواني ، وزارة الثقافة ، الدوحة ، قطر ، ط١ ، ٢٠١٠ م .
٣- البطل، علي البطل (دكتور):_الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٣ .
٤- حجر، أوس بن حجر: ديوانه، تحقيق وشرح د/ محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت،ط٣، ١٩٧٩.
٥- خليف ، يوسف (دكتور) : دراسات في الشعر الجاهلي ، دار غريب للطباعة والنشر ، الفجالة ، القاهرة ، مصر ، ط٢ ، ١٩٨١ .
٦- الذبياني، النابغة الذبياني:_ديوانه، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف .
٧- ربيعة ، لبيد ابن أبي ربيعة : ديوانه ، تحقيق د / إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢ .
٨- رشيق ، ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج١ ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط٥ ، ١٩٨١ .
٩- سلام ، محمد زغلول سلام (دكتور) : مدخل إلى الشعر الجاهلي دراسة في البيئة والشعر ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، د ت .
١٠-سُلْمى، زهير بن أبي سلمى: ديوانه، تحقيق/فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، ط٣، بيروت،١٩٨٠م .
١١- السويدي ، سلامة : المطر في الشعر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي ، مخطوط دكتوراه ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مصر ، ١٩٩١ .
١٢- السيد، شفيع الشيد (دكتور): التعبير البياني، مكتبة الشباب، القاهرة ، د ت .
١٣- شداد، عنترة بن شداد:_ديوانه، تحقيق/ مجيد طراد، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٢هـ،١٩٩٢م.
١٤-الضبي، المفضل الضبي: المفضليات، تحقيق/ أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٧، دار المعارف ،١٩٨٣ م.
١٥-عبد الحافظ ، صلاح عبد الحافظ (دكتور): الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي،ج٢، دار المعارف، ط١، ١٩٨٣م.
١٦-عبدالله ، محمد حسن عبدالله (دكتور) : الصورة ، والبناء الشعري ، دار المعارف ، مصر ، د ت .
١٧-العبد، طرفة بن العبد: ديوانه، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق/ درية الخطيب ولطفي الصقال، المؤسسة العربية ، ط٢،بيروت ، ٢٠٠٠م .
١٨- عبد الرحمن، إبراهيم عبد الرحمن (دكتور):_الشعر_الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية ، مكتبة الشباب، القاهرة ، د ت .
١٩- عبد الرحمن ، إبراهيم (دكتور) : التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي ، فصول في النقد الأدبي ، مج١ ، ع٣ ، أبريل ١٩٨١ .
٢٠- عد الرحمن ، نصرت (دكتور) : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، مكتبة الأقصى ، عمان ، الأردن ، ١٩٧٦.

٢١- عبد الجليل ، يوسف حسني (دكتور)، عالم المرأة في الشعر الجاهلي ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠٦ .
٢٢- عبد الجليل ، يوسف حسني(دكتور) : الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط١ ، ٢٠١١ .
٢٣- عليمات ، يوسف (دكتور) : النقد الثقافي تمثلات النسق في الشعر الجاهلي ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٥م .
٢٤- القيس، امرؤ القيس: ديوانه، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٥ .
٢٥- القزويني ، الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق د / محمد عبد المنعم خفاجة ، مكتبة الكليات ، القاهرة ، مصر ، ط٢ ، ٢٠٠٨ م .
٢٦- كنون ، محمد عبد الحفيظ كنون (دكتور): السمات الأسطورية في الشعر الجاهلي ، د ت .
٢٧- مسكين ، حسن (دكتور) : الخطاب الشعري الجاهلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ٢٠٠٥ .
٢٨- منظور ، ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق / أحمد حيدر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣ .
٢٩- ناصف، مصطفى ناصف (دكتور): قراءة ثانية لشعرنا القديم، منشورات الجامعة الليبية .
٣٠- معروف وبيات ، يحيى معروف وعاطي بيات : جماليات التغزل والرموز الأنثوية في الشعر الجاهلي ، مجلة الند والأدب المقارن ، كلية العلوم والآداب ، جامعة رزاي ، الجزائر ، عدد٢ ، ٢٠١٣ م .